قبلُ وبعد

في غرفة مظلمة... مغلقة... دار ذلك الحديث...

الأول: متى سيخرجوننا من هذه الغرفة الكئيبة؟... متى؟

الثاني: أنا لا أدري لماذا تشتاق للخروج بهذا الشكل؟ إن كان القرار لي لظللت هنا إلى الأبد.

الأول: ماذا تقول!!؟ لابد أنك قد جُننت... تبقى هنا إلى الأبد!! حيث لا مجال للحرية أو الانطلاق؟! أتبقى في هذا السجن الكئيب الذي لا ماء فيه ولا طعام إلا بقدر؟!

الثاني: ولماذا لا؟ فها نحن نجد دفئاً لا مثيل له، وها نحن يُقدم إلينا الطعام دون حتى أن نسأل عنه.

الأول: هذا كل ما يهمك الدفء والطعام؟ أين أنت من الحرية؟ أين أنت من الانطلاق والمرح؟ بل أين أنت من الحياة؟

الثاني: أنت هكذا دائماً تستعمل تلك الكلمات الرنانة التي لا أحد يفهمها حقيقة الفهم.. ولكنني أكلمك عن واقع أعيشه هنا حيث الأمن.. حيث السلام... هنا لا أحد يحاسبك.. لا أحد.

الأول: مقاطعاً ـ نعم لا أحد يحاسبك؛ لأنك لا تملك حق اختيار فعل أي شيء، ولكنك هناك تتحمل مسؤولية أفعالك... ولذلك يحاسبونك في النهاية..

الثاني: بغضب ـ من قال إنني أريد تحمل تلك المسؤولية... من قال لك ذلك؟

الأول: أنت... أنت فعلت... أولاً تتذكر عندما وافقنا جميعاً على الذهاب والخروج من هنا؟ هل تتبرأ من كل ذلك الآن؟!

الثاني: لا أدري.. حقيقةً لا أدري... لا أدري أكنت أحمقاً أم ماذا؟! بل كنت ظلوماً جهولاً.

الأول: صه.. أنصت.

سكت كلاهما برهة ليسمعا ذلك الصوت الغريب.

الأول: ما هذا؟ أتسمع؟

الثاني: حائراً ـ أنا لا أسمع شيئاً على الإطلاق.

وسكتا مرة أخرى بعض الوقت... وهنا همس الثاني: نعم، سمعت، ما هذا؟!!

الأول: لا أدري، ولكن يبدو أن أحدهم يحاول إخراجنا.

الثاني: بل أعتقد أن أحدهم يحاول الدخول عندنا.

الأول: هل جننت.. من ذا الذي يريد أن يدخل إلى ذلك المكان الكئيب؟!

ومضت بعض اللحظات الثقال... وبعد قليل سُمع صوتٌ هائل صم الآذان فُتح بعده بابُ الغرفة فجأة وصرخ الأول بلهفة: الحرية!! وصرخ الثاني بلوعة: المسؤولية!!

ومن خارج الباب، وقف رجل وقور... ابتسم بحنان إلى تلك السيدة التي استلقت أمامه وقال: مبروك لقد كانا توأمين وهاهما بدءا في البكاء.

نظرت الأم بلهفة إلى ولديها وسمعت صراخهما كلحن جميل.. لم تعرف أن صراخ الأول يختلف تماماً عن صراخ الثاني!!!

و تمر السنون ويتوفى الله الطبيب وتموت الأم... ويعيش الأخوان التجربة بين الحرية والمسؤولية... وتمر أعوامٌ أخرى ويلاقي الأخوان ربهما... وفي غرفة صغيرة مغلقة تارةً أخرى يلتقيان... ودار بينهما حديث فهل تغير الحوار...؟